المَدينَة المُنَوَّرَة
في وَصْف أهل الكتاب وإسْلام سَلْمَان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

شريعة الله تعالى إلى الناس واحدة، ورسالاته إلى الأنبياء خالدة، تمتد جذورها إلى آدم أبي البشر، وتنتهي فروعها بانتهاء هذا الجنس البشري، وقيام الناس لرب العالمين.

قال تعالى: ﴿**شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ**﴾(١).

وإذا كان محمد بن عبدالله هو خاتم الأنبياء، فإنَّ رسالته لا تزال متصلة إلى يوم الناس هذا، وسوف تظل متصلة إلى يوم القيامة يحملها خلفاؤه والعلماء من أمته على توالي الأجيال والقرون.

ويخبرنا القرآن الكريم أن الله تعالى أخذ العهد والميثاق على الأنبياء والمرسلين في مشهد رباني رائع، بأن يؤمنوا بمحمد ﷺ إن جاءهم مصدقاً لما أُنْزِلَ عليهم.

وكان معنى ذلك تنبيه الأمم والشعوب التي ستدرك زمانه ﷺ إلى الإيمان به والتصديق بدعوته؛ لأنها دعوة الحق الذي لا يأتيه الباطل، ولأنها الدعوة العالمية التي كُتِبَ لها الخلود إلى أن تنفطر السماء، وتنكدر النجوم، وتُبدَّل الأرض غير الأرض والسماوات.

وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ**﴾(٢).

---

(١) الشورى: ١٣.

(٢) آل عمران: ٨١.

obeikandi.com

كما أخبر الله الأنبياء - فيما أنزل عليهم من كتب - بكرامة هذا النبي العظيم، وذكر لهم من أوصافه وعلاماته ما يجلو غواشي الشك، ويضيء طريق الحق..

وفي ذلك يقول: ﴿**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[١].

وفي التوراة والإنجيل أخبار عن هذا النبي الأُمِّي، وأوصاف تؤيد صدقه في نبوته، وهي دلائل قوية كانت كافية لإقامتهم على المحجة الواضحة، لولا ما ران على قلوب القوم من أكدار الحقد والحسد.

﴿**وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾[٢].

*****

وها هي قصة إسلام سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أبدأ بها ليُعلَم أن المدينة المنورة - وهي موطن هجرته ﷺ ومنطلق دعوته إلى العالمين - ذُكرَت في كُتُب أهل الكتاب.

عن عبدالله بن عبَّاس - رضي الله عنهما - قال: حدثني سَلْمَانُ، وأنا أسمعُ مِنْ فِيه، قال:

كُنْتُ رَجُلاً فَارِسِيًّا مِنْ أَهْلِ أَصْبَهَانَ[٣] مِنْ أَهْلِ قَرْيَةٍ مِنْهَا يُقَالُ لَهَا «جَيٌّ» وَكَانَ أَبِي دِهْقَانَ[٤] قَرْيَتِه، وَكُنْتُ أَحَبَّ خَلْقِ اللَّهِ إِلَيْهِ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حُبُّهُ إِيَّايَ حَتَّى حَبَسَنِي فِي بَيْتِهِ كَمَا تُحْبَسُ الجَارِيَةُ.

---

(١) الأعراف: ١٥٧. (٢) البقرة: ٨٩.

(٣) أصبهان: مدينة عظيمة بأرض فارس من أعلام المدن.

(٤) الدِّهْقان: شيخ القرية العارف بالفلاحة وما يُصلح الأرض، يُلجأ إليه في معرفة ذلك.

وقوف سلمان على النصرانية:

قال سلمانُ: وَاجْتهَدْتُ فِي الْمَجُوسِيَّةِ حتَّى كُنْتُ قَطَنَ النَّارِ(١) الَّذِي يُوقِدُهَا، لاَ يَتْرُكُهَا تَخْبُو سَاعَةً.

وَكَانَتْ لأبِي ضَيْعَةٌ(٢) عَظِيمَةٌ، فَشُغِلَ فِي بُنْيَانٍ لَهُ يَوْمًا، فَقَالَ لِي: يَا بُنَيَّ، إِنِّي قَدْ شُغِلْتُ فِي بُنْيَانِي هَذَا الْيَوْمَ عَنْ ضَيْعَتِي، فَاذْهَبْ فَاطَّلِعْهَا. وَأَمَرَنِي فِيهَا بِبَعْضِ مَا يُرِيدُ.

ثم قال لي: ولا تَحْتَبِس عنِّي؛ فإنَّكَ إنْ احتَبَسْتَ عنِّي، كنتَ أهمَّ إليَّ من ضَيعتي، وشَغَلْتَني عن كُلِّ شَيْءٍ من أمري.

قال: فَخَرَجْتُ أُرِيدُ ضَيْعَتَهُ التي بعثني إليها، فَمَرَرْتُ بِكَنِيسَةٍ مِنْ كَنَائِسِ النَّصَارَى، فَسَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ فِيهَا وَهُمْ يُصَلُّونَ.

وَكُنْتُ لاَ أَدْرِي مَا أَمْرُ النَّاسِ؛ لحَبْسِ أَبِي إِيَّايَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا سَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ، دَخَلْتُ عَلَيْهِمْ أَنْظُرُ مَا يَصْنَعُونَ.

قَالَ: فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ أَعْجَبَتْنِي صَلاَتُهُمْ، وَرَغِبْتُ فِي أَمْرِهِمْ، وَقُلْتُ: هَذَا - وَاللَّهِ - خَيْرٌ مِنَ الدِّينِ الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ.

فَوَاللَّهِ مَا تَرَكْتُهُمْ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، وَتَرَكْتُ ضَيْعَةَ أَبِي وَلَمْ آتِهَا.

ثم قُلْتُ لَهُمْ: أَيْنَ أَصْلُ هَذَا الدِّينِ؟

قَالُوا: بِالشَّامِ.

قَالَ: ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى أَبِي، وَقَدْ بَعَثَ فِي طَلَبِي، وَشَغَلَتْهُ عَنْ عَمَلِهِ كُلِّهِ

قَالَ: فَلَمَّا جِئْتُهُ، قَالَ: أَيْ بُنَيَّ، أَيْنَ كُنْتَ؟ أَلَمْ أَكُنْ عَهِدْتُ إِلَيْكَ مَا عَهِدْتُ؟

---

(١) قَطَنَ النَّارِ: خادمها الذي يخدمها ويمنعها من أن تخبو؛ لتعظيمهم إيَّاها.
(٢) الضَّيْعَةُ: العقار.

قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَتِ، مَرَرْتُ بِأُنَاسٍ يُصَلُّونَ فِي كَنِيسَةٍ لَهُمْ، فَأَعْجَبَنِي مَا رَأَيْتُ مِنْ دِينِهِمْ، فَوَاللَّهِ مَازِلْتُ عِنْدَهُمْ حتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ.

قَالَ: أَيْ بُنَيَّ، لَيْسَ فِي ذَلِكَ الدِّينِ خَيْرٌ، دِينُكَ وَدِينُ آبَائِكَ خَيْرٌ مِنْهُ

قَالَ: قُلْتُ: كَلاَّ وَاللَّهِ، إِنَّهُ خَيْرٌ مِنْ دِينِنَا.

قَالَ: فَخَافَنِي، فَجَعَلَ فِي رِجْلَيَّ قَيْدًا، ثُمَّ حَبَسَنِي فِي بَيْتِهِ.

اتفاق سَلْمَان والنصارى على الهرب:

قَالَ: وَبَعَثْتُ إِلَيَّ النَّصَارَى، فَقُلْتُ لَهُمْ: إِذَا قَدِمَ عَلَيْكُمْ رَكْبٌ مِنَ الشَّامِ فَأَخْبِرُونِي بِهِمْ.

قَالَ: فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ رَكْبٌ مِنَ الشَّامِ تُجَّارٌ مِنَ النَّصَارَى، فَأَخْبَرُونِي بِهِمْ.

فَقُلْتُ لَهُمْ: إِذَا قَضَوْا حَوَائِجَهُمْ، وَأَرَادُوا الرَّجْعَةَ إِلَى بِلاَدِهِمْ، فَآذِنُونِي بِهِمْ

قَالَ: فَلَمَّا أَرَادُوا الرَّجْعَةَ إِلَى بِلاَدِهِمْ أَخْبَرُونِي بِهِمْ، فَأَلْقَيْتُ الحَدِيدَ مِنْ رِجْلَيَّ، ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَهُمْ حتَّى قَدِمْتُ الشَّامَ.

فَلَمَّا قَدِمْتُهَا قُلْتُ: مَنْ أَفْضَلُ أَهْلِ هَذَا الدِّينِ عِلْمًا؟

قَالُوا: الأُسْقُفُّ[1] فِي الْكَنِيسَةِ.

سَلْمَانُ وأَسْقُف النصارى السيئ:

قَالَ: فَجِئْتُهُ، فَقُلْتُ له: إِنِّي قَدْ رَغِبْتُ فِي هَذَا الدِّينِ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَكُونَ مَعَكَ وأَخْدُمُكَ فِي كَنِيسَتِكَ، وَأَتَعَلَّمُ مِنْكَ، وَأُصَلِّي مَعَكَ.

---

(١) الأسقُف: كلمة يونانية معناها الرقيب، وهو خليفة الرسول في كُلِّ شيء ما عدا الرتبة الرسولية العامة، وعمله محصور في رعيته ومكانه فقط، وله القوة على إقامة القسّ والشَّمَّاس.

قَالَ: ادْخُلْ. فَدَخَلْتُ مَعَهُ.

قَالَ: وكَانَ رَجُلَ سَوْءٍ، يَأْمُرُهُمْ بِالصَّدَقَةِ وَيُرَغِّبُهُمْ فِيهَا، فَإِذَا جَمَعُوا له شيئاً منها اكْتَنَزَهُ لِنَفْسِهِ، وَلَمْ يُعْطِهِ الْمَسَاكِينَ! حتَّى جَمَعَ سَبْعَ قِلالٍ مِنْ ذَهَبٍ وَوَرِقٍ(١).

قَالَ: فَأَبْغَضْتُهُ بُغْضًا شَدِيدًا؛ لِمَا رَأَيْتُهُ يَصْنَعُ.

ثُمَّ مَاتَ، فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ النَّصَارَى لِيَدْفِنُوهُ، فَقُلْتُ لَهُمْ: إِنَّ هَذَا كَانَ رَجُلَ سَوْءٍ، يَأْمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ، وَيُرَغِّبُكُمْ فِيهَا، فَإِذَا جِئْتُمُوهُ بِهَا اكْتَنَزَهَا لِنَفْسِهِ، وَلَمْ يُعْطِ الْمَسَاكِينَ مِنْهَا شَيْئًا.

قال: فقَالُوا لي: وَمَا عِلْمُكَ بِذَلِكَ؟

قَالَ: قُلْتُ: أَنَا أَدُلُّكُمْ عَلَى كَنْزِهِ.

قَالُوا: فَدُلَّنَا عَلَيْهِ.

قَالَ: فَأَرَيْتُهُمْ مَوْضِعَهُ، فَاسْتَخْرَجُوا مِنْهُ سَبْعَ قِلَالٍ مَمْلُوءَةٍ ذَهَبًا وَوَرِقًا

قَالَ: فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا: وَاللَّهِ لاَ نَدْفِنُهُ أَبَدًا.

قال: فَصَلَبُوهُ، ورَجَمُوهُ بِالْحِجَارَةِ، ثُمَّ جَاءُوا بِرَجُلٍ آخَرَ فَجَعَلُوهُ مَكَانَهِ.

سَلْمَانُ والأَسْقُف الصالح:

يَقُولُ سَلْمَانُ: فَمَا رَأَيْتُ رَجُلاً يُصَلِّي الْخَمْسَ، أَرَى أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْهُ، وأَزْهَدُ فِي الدُّنْيَا، ولاَ أَرْغَبُ فِي الآخِرَةِ، وَلا أَدْأَبُ لَيْلاً وَنَهَارًا مِنْهُ

قَالَ: فَأَحْبَبْتُهُ حُبًّا لَمْ أُحِبَّهُ شيئاً منْ قَبْلِهِ.

قال: فَأَقَمْتُ مَعَهُ زَمَانًا طويلاً، ثُمَّ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، فَقُلْتُ لَهُ:

---

(١) الوَرِق: الفضة.

يَا فُلانُ، إِنِّي كُنْتُ مَعَكَ، وَأَحْبَبْتُكَ حُبًّا لَمْ أُحِبَّهُ شيئاً منْ قَبْلِكَ، وَقَدْ حَضَرَكَ مَا تَرَى مِنْ أَمْرِ اللَّهِ. فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي؟ وَمَا تَأْمُرُنِي؟

قَالَ: أَيْ بُنَيَّ، وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ اليوم أَحَدًا عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ، فقد هَلَكَ النَّاسُ، وَبَدَّلُوا، وَتَرَكُوا أَكْثَرَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ، إِلاَّ رَجُلاً بِالْمَوْصِلِ، وَهُوَ فُلانٌ، فَهُوَ عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ، فَالحَقْ بِهِ.

سَلْمَانُ وصاحبُه بالموصل:

قَالَ سَلْمانُ: فَلَمَّا مَاتَ وَغُيِّبَ، لحِقْتُ بِصَاحِبِ الْمَوْصِلِ فَقُلْتُ لَهُ:

يَا فُلانُ، إِنَّ فُلانًا أَوْصَانِي عِنْدَ مَوْتِهِ أَنْ أَلحَقَ بِكَ، وَأَخْبَرَنِي أَنَّكَ عَلَى أَمْرِهِ.

قَالَ: فَقَالَ لِي: أَقِمْ عِنْدِي. فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ، فَوَجَدْتُهُ خَيْرَ رَجُلٍ عَلَى أَمْرِ صَاحِبِهِ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قُلْتُ لَهُ:

يَا فُلانُ، إِنَّ فُلانًا أَوْصَى بِي إِلَيْكَ، وَأَمَرَنِي بِاللُّحُوقِ بِكَ، وَقَدْ حَضَرَكَ مِنَ اللَّهِ مَا تَرَى. فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي؟ وَمَا تَأْمُرُنِي؟

قَالَ: أَيْ بُنَيَّ، وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ رَجُلاً عَلَى مِثْلِ مَا كُنَّا عَلَيْهِ إِلاَّ رجلاً بِنَصِيبِينَ[1] وَهُوَ فُلانٌ، فَالحَقْ بِهِ.

سَلْمَانُ وصاحبه بِنَصِيبين:

قَالَ سَلْمانُ: فَلَمَّا مَاتَ وَغُيِّبَ، لحِقْتُ بِصَاحِبِ نَصِيبِينَ، فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِي وَمَا أَمَرَنِي بِهِ صَاحِبِي، فقَالَ: أَقِمْ عِنْدِي. فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ، فَوَجَدْتُهُ عَلَى أَمْرِ صَاحِبَيْهِ.

فَأَقَمْتُ مَعَ خَيْرِ رَجُلٍ. فَوَاللَّهِ، مَا لَبِثَ أَنْ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ، فَلَمَّا حُضِرَ قُلْتُ لَهُ: يَا فُلانُ، إِنَّ فُلانًا كَانَ أَوْصَى بِي إِلَى فُلانٍ، ثُمَّ أَوْصَى بِي فُلانٌ إِلَيْكَ. فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي؟ وَمَا تَأْمُرُنِي؟

---

(١) نصيبين: مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام.

قَالَ: أَيْ بُنَيَّ، وَاللَّه مَا نَعْلَمُ أَحَدًا بَقِيَ عَلَى أَمْرِنَا، آمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَهُ إِلاَّ رَجُلاً بِعَمُّورِيَّةَ[1] من أرض الرُّوم، فَإِنَّهُ على مِثْلِ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ، فَإِنْ أَحْبَبْتَ أن تَأتيَه فَأْته؛ فَإِنَّهُ عَلَى أَمْرِنَا.

سَلْمَانُ وصاحبه بعَمُّورِيَّةَ:

قَالَ سَلْمانُ: فَلَمَّا مَاتَ وَغُيِّبَ، لحَقْتُ بِصَاحِبِ عَمُّورِيَّةَ، فَأَخْبَرْتُهُ خَبَرِي فَقَالَ: أَقِمْ عِنْدِي، فَأَقَمْتُ عند خَيْرِ رَجُلٍ، عَلَى هَدْيِ أَصْحَابِهِ وَأَمْرِهِمْ.

قَالَ: وَاكْتَسَبْتُ حتَّى كَانَ لِي بَقَرَاتٌ وَغُنَيْمَةٌ.

قَالَ: ثُمَّ نَزَلَ بِه أَمْرُ اللَّه، فَلَمَّا حُضِرَ، قُلْتُ لَهُ:

يَا فُلانُ، إِنِّي كُنْتُ مَعَ فُلان، فَأَوْصَى بِي فُلانٌ إِلَى فُلان، وَأَوْصَى بِي فُلانٌ إِلَى فُلانٍ، ثُمَّ أَوْصَى بِي فُلانٌ إِلَيْكَ. فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي؟ وَمَا تَأْمُرُنِي؟

قَالَ: أَيْ بُنَيَّ، وَاللَّه مَا أَعْلَمُهُ أَصْبَحَ اليَوْمَ أَحَدٌ عَلَى مثل مَا كُنَّا عَلَيْهِ مِنَ النَّاسِ آمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَهُ.

وَلَكِنَّهُ قَدْ أَظَلَّكَ زَمَانُ نَبِيٍّ..

وهُوَ مَبْعُوثٌ بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام..

يَخْرُجُ بِأَرْضِ الْعَرَبِ..

مُهَاجِرًا إِلَى أَرْضٍ بَيْنَ حَرَّتَيْنِ[2] بَيْنَهُمَا نَخْلٌ

بِهِ عَلامَاتٌ لاَ تَخْفَى..

يَأْكُلُ الْهَدِيَّةَ، وَلا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ..

بَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ.

فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَلْحَقَ بِتِلْكَ الْبِلادِ فَافْعَلْ.

جاء في كتب الحديث ومصادر سيرة الرسول ﷺ روايات كثيرة تفيد أنه كان في جسده الطاهر (قطعة لحم بارزة عليها شعر عند كتفه الأيسر كذر

(١) عمُّورية: بلد من بلاد الروم غزاه المعتصم حين سمع شراة العلوية.

(٢) الحرَّة: أرض ذات حجارة سود نخرة، كأنها أحرقت بالنار.

الحجلة [الحجلة - بفتح الحاء والجيم - الخيمة المزينة بالستور، وذرها هي البكرة التي تربط بها الحبال، وقيل: الحجلة طائر، وذرها بيضها] وأخرج البخاري في كتاب الوضوء، حديث رقم ١٨٣ عن السَّائب بْن يَزِيد قال: «ذَهَبَتْ بِي خَالَتِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّه، إِنَّ ابْنَ أُخْتِي وَجِعٌ، فَمَسَحَ رَأْسِي، وَدَعَا لِي بِالْبَرَكَة، ثُمَّ تَوَضَّأَ فَشَرِبْتُ مِنْ وَضُوئِهِ، ثُمَّ قُمْتُ خَلْفَ ظَهْرِهِ فَنَظَرْتُ إِلَى خَاتَمِ النُّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ مِثْلَ زِرِّ الْحَجَلَة» والحكمة في خاتم النبوة - على جهة الاعتبار - أنه (لما مُلئ قلبه حكمة ويقيناً، خُتم عليه كما يُختم على الوعاء المملوء. والله أعلم.

سَلْمَانُ ونَقْلتُه إلى وادي القرى ثُمَّ إلى المَدينَة:

قَالَ سَلْمانُ: ثُمَّ مَاتَ وَغُيِّبَ، فَمَكَثْتُ بِعَمُّورِيَّةَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَمْكُثَ، ثُمَّ مَرَّ بِي نَفَرٌ مِنْ كَلْبٍ[١] تُجَّار.

فَقُلْتُ لَهُمْ: تَحْمِلُونِي إِلَى أَرْضِ الْعَرَبِ وَأُعْطِيكُمْ بَقَرَاتِي هَذِهِ وَغُنَيْمَتِي هَذِهِ؟

قَالُوا: نَعَمْ. فَأَعْطَيْتُهُمُوهَا، وَحَمَلُونِي معهم، حتَّى إِذَا قَدِمُوا بِي وَادِي الْقُرَى[٢] ظَلَمُونِي، فَبَاعُونِي إِلى رَجُلٍ مِنْ يَهُود عبداً.

فَكُنْتُ عِنْدَهُ، وَرَأَيْتُ النَّخْلَ، وَرَجَوْتُ أَنْ تَكُونَ الْبَلَدَ الَّذِي وَصَفَ لِي صَاحِبِي.

فَبَيْنَمَا أَنَا عِنْدَهُ، قَدِمَ عَلَيْهِ ابْنُ عَمٍّ لَهُ مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ بَنِي قُرَيْظَة، فَابْتَاعَنِي مِنْهُ[٣]، فَاحْتَمَلَنِي إِلَى الْمَدِينَة.

فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلاَّ أَنْ رَأَيْتُهَا، فَعَرَفْتُهَا بِصِفَةِ صَاحِبِي، فَأَقَمْتُ بِهَا.

وَبَعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ، فَأَقَامَ بِمَكَّةَ مَا أَقَامَ، لاَ أَسْمَعُ لَهُ بِذِكْرٍ، مَعَ مَا أَنَا فِيهِ مِنْ شُغْلِ الرِّقِّ، ثُمَّ هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَة.

فَوَاللَّهِ إِنِّي لَفِي رَأْسِ عَذْقٍ[٤] لِسَيِّدِي أَعْمَلُ فِيهِ بَعْضَ الْعَمَلِ، وَسَيِّدِي جَالِسٌ تحتي، إِذْ أَقْبَلَ ابْنُ عَمٍّ لَهُ حتَّى وَقَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ:

---

(١) كلب: إحدي قبائل العرب.
(٢) وادي القرى: واد بين تيماء وخيبر.
(٣) أي اشتراني.
(٤) العَذْقُ: كل غصن له شُعَب، والعَذْقُ - أيضاً - النخلة عند أهل الحجاز.

يا فُلانُ، قَاتَلَ اللَّهُ بَنِي قَيْلَةَ[١] وَاللَّهِ إِنَّهُمُ - الآنَ - لَمُجْتَمِعُونَ بِقُبَاءَ[٢] عَلَى رَجُلٍ قَدِمَ عَلَيْهِمْ مِنْ مَكَّةَ الْيَوْمَ، يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَبِيٌّ.

قَالَ سَلْمَانُ: فَلَمَّا سَمِعْتُهَا أَخَذَتْنِي الْعُرَوَاءُ[٣] حَتَّى ظَنَنْتُ أني سَأَسْقُطُ عَلَى سَيِّدِي فَنَزَلْتُ عَنِ النَّخْلَةِ، فَجَعَلْتُ أَقُولُ لابن عَمِّهِ ذَلِكَ: مَاذَا تَقُولُ؟ مَاذَا تَقُولُ؟

فَغَضِبَ سَيِّدِي، فَلَكَمَنِي لَكْمَةً شَدِيدَةً، ثُمَّ قَالَ:

مَا لَكَ وَلِهَذَا؟! أَقْبِلْ عَلَى عَمَلِكَ.

قَالَ: قُلْتُ: لاَ شَيْءَ، إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَسْتَثْبِتَ عَمَّا قَالَ.

سَلْمَانُ بين يدي رسول الله ﷺ:

قَالَ سَلْمَانُ: وَقَدْ كَانَ عِنْدِي شَيْءٌ قَدْ جَمَعْتُهُ، فَلَمَّا أَمْسَيْتُ أَخَذْتُهُ، ثُمَّ ذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ بِقُبَاءَ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُ:

إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ رَجُلٌ صَالِحٌ، وَمَعَكَ أَصْحَابٌ لَكَ غُرَبَاءُ ذَوُو حَاجَةٍ، وَهَذَا شَيْءٌ كَانَ عِنْدِي لِلصَّدَقَةِ، فَرَأَيْتُكُمْ أَحَقَّ بِهِ مِنْ غَيْرِكُمْ.

قَالَ: فَقَرَّبْتُهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لأَصْحَابِهِ:

كُلُوا. وَأَمْسَكَ يَدَهُ، فَلَمْ يَأْكُلْ.

قَالَ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: هَذِهِ وَاحِدَةٌ.

قال: ثُمَّ انْصَرَفْتُ عَنْهُ، فَجَمَعْتُ شَيْئًا، وَتَحَوَّلَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، ثُمَّ جِئْتُه بِهِ، فَقُلْتُ:

إِنِّي رَأَيْتُكَ لاَ تَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، وَهَذِهِ هَدِيَّةٌ أَكْرَمْتُكَ بِهَا.

قَالَ: فَأَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهَا، وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ فَأَكَلُوا مَعَهُ.

قَالَ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: هَاتَانِ ثِنْتَانِ.

---

(١) قَيْلَةَ: هي الجدة الكبرى للأنصار، وهي قيلة بنت كاهل بن عذرة.

(٢) قُباء: قرية على ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة.

(٣) العُرَواء: الرَّعْدة والانتفاضة.

قال: ثُمَّ جِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ بِبَقِيعِ الْغَرْقَدِ(١) قَدْ تَبِعَ جَنَازَةَ رجلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ وعَلَيْهِ شَمْلَتَانِ لَهُ(٢) وَهُوَ جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَدَرْتُ أَنْظُرُ إِلَى ظَهْرِهِ، هَلْ أَرَى الخَاتَمَ الَّذِي وَصَفَ لِي صَاحِبِي.

فَلَمَّا رَآنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اسْتَدْرَتُهُ عَرَفَ أَنِّي أَسْتَثْبِتُ فِي شيءٍ وُصِفَ لِي، فَأَلْقَى رِدَاءَهُ عَنْ ظَهْرِهِ، فَنَظَرْتُ إِلَى الخَاتَمِ فَعَرَفْتُهُ، فَانْكَبَبْتُ عَلَيْهِ أُقَبِّلُهُ وَأَبْكِي.

فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: تَحَوَّلْ. فَتَحَوَّلْتُ، فجلستُ بين يديه، فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ حَدِيثِي - كَمَا حَدَّثْتُكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ - فَأَعْجَبَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَسْمَعَ ذَلِكَ أَصْحَابُهُ.

ثُمَّ شَغَلَ سَلْمَانَ الرِّقُّ حتَّى فَاتَهُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَدْرٌ وَأُحُد.

الرسول ﷺ يأمر سَلْمَان بالمكاتبة:

قَالَ سَلْمَانُ: ثُمَّ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: كَاتِبْ يَا سَلْمَانُ(٣).

فَكَاتَبْتُ صَاحِبِي عَلَى ثَلاثِ مِئَة نَخْلَةٍ أُحْيِيهَا لَهُ بِالْفَقِيرِ(٤) وَبِأَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لأَصْحَابِهِ: أَعِينُوا أَخَاكُمْ.

فَأَعَانُونِي بِالنَّخْلِ، الرَّجُلُ بِثَلاثِينَ وَدِيَّةً(٥) وَالرَّجُلُ بِعِشْرِينَ، وَالرَّجُلُ بِخَمْسَ عَشْرَةَ، وَالرَّجُلُ بِعَشْرٍ. يُعِينُ الرَّجُلُ بِقَدْرِ مَا عِنْدَهُ، حتَّى اجْتَمَعَتْ لِي ثَلاثُ مئة وَدِيَّةٍ.

فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اذْهَبْ يَا سَلْمَانُ فَفَقِّرْ لَهَا، فَإِذَا فَرَغْتَ فَأْتِنِي أَكُنْ أَنَا أَضَعُهَا بِيَدَيَّ.

---

(١) بقيع الغرقد: مقبرة أهل المدينة. (٢) الشَّمْلَةُ: كساء يُشتَمَل به.

(٣) المكاتبة أن يطلب العبدُ من سيِّده عتْقَه، على أن يؤدي إليه المال الذي شارطه على أدائه.

(٤) بالفقير: أي بالحفر والغرس.

(٥) الوديُّ: فسيل النخل وصغاره.

قال: فَفَقَّرْتُ لَهَا، وَأَعَانَنِي أَصْحَابِي، حتَّى إِذَا فَرَغْتُ مِنْهَا جِئْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعِي إِلَيْهَا، فَجَعَلْنَا نُقَرِّبُ لَهُ الْوَدِيَّ وَيَضَعُهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ حتَّى فرغنا.

فَوَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ مَا مَاتَتْ مِنْهَا وَدِيَّةٌ وَاحِدَةٌ!

فَأَدَّيْتُ النَّخْلَ، وَبَقِيَ عَلَيَّ الْمَالُ.

فَأُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمِثْلِ بَيْضَةِ الدَّجَاجَةِ مِنْ ذَهَبٍ مِنْ بَعْضِ الْمَغَازِي فَقَالَ: مَا فَعَلَ الْفَارِسِيُّ الْمُكَاتَبُ؟ قَالَ: فَدُعِيتُ لَهُ.

فَقَالَ: خُذْ هَذِهِ، فَأَدِّ بِهَا مَا عَلَيْكَ يَا سَلْمَانُ.

فَقُلْتُ: وَأَيْنَ تَقَعُ هَذِهِ - يَا رَسُولَ اللَّهِ - مِمَّا عَلَيَّ؟!

فقَالَ: خُذْهَا، فَإِنَّ اللَّهَ عز وجل سَيُؤَدِّي بِهَا عَنْكَ.

قَالَ: فَأَخَذْتُهَا فَوَزَنْتُ لَهُمْ مِنْهَا، وَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ، أَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً! فَأَوْفَيْتُهُمْ حَقَّهُمْ، وَعُتِقْتُ، فَشَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْخَنْدَقَ، ثُمَّ لَمْ يَفُتْنِي مَعَهُ مَشْهَدٌ.

*****

ذاك حديث سَلْمَان الذي أَعْجَبَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَسْمَعه أَصْحَابُهُ.

ومنه يُعْلَم أنَّ بَعثَةَ الرسول الخاتم ﷺ كانت معلومةً لأهل الكتاب، وذلك قوله تعالى: ﴿**يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ**﴾[1].

وقد عرف سَلْمَان ذلك من عالم النَّصارى ورئيسهم في عَمُّورِيَّة، عندما نزل به أمرُ الله.

---

(١) الأعراف: ١٥٧.

وقد أمره أن يلحق بأرض العرب، وفي وادي القرى بيعَ سلمانُ إلى رجل من يهود عبداً.

وبينما هو عنده، قدم عليه ابنُ عمٍّ له من المَدينَة من بني قُرَيْظَة، فابتاعه منه، فاحتمله إلى المَدينَة.

وفي الصحيح عن سَلْمَان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قال: «**تَدَاوَلَني بِضْعَةَ عَشَرَ مِنْ رَبٍّ إِلَى رَبٍّ**»(١).

ولكنْ.. متي أُعتِقَ سَلْمانُ؟

عندما قال له الرسول الكريم ﷺ: «**كَاتِبْ يَا سَلْمَانُ**» وقال لأصحابه: «**أعينوا أخاكم**».

فأعانوه حتَّى اجْتَمَعَتْ له ثَلاثُ مئة وَدِيَّةٍ، وقال له الرسول ﷺ:

«**اذْهَبْ يَا سَلْمَانُ، فَفَقِّرْ لَهَا، فَإِذَا فَرَغْتَ فَأْتِنِي أَكنُ أَنَا أَضَعُهَا بِيَدَيَّ**»

فَفَقَّرَ لها سلمانُ، وأعانَهُ أصحابُه.

فلمَّا فَرَغ منْهَا، وجاء إلى رسول الله ﷺ فأخبره، خرج رسولُ الله ﷺ مَعه إِلَيْهَا، يضعها بيده الشريفة.

يقولُ سَلْمَانُ: فَوَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ مَا مَاتَتْ مِنْهَا وَدِيَّةٌ وَاحِدَةٌ، فَأَدَّيْتُ النَّخْلَ، وَبَقِيَ عَلَيَّ الْمَالُ.

ثم اكتملت مِنَّةُ الله على سلمان بما قدَّمه له الرسول ﷺ من مال حتى أدَّى ما عليه.

يقول سلمانُ: فَأُتِيَ رَسُولُ اللَّه ﷺ بِمِثْلِ بَيْضَةِ الدَّجَاجَةِ مِنْ ذَهَبٍ، مِنْ بَعْضِ الْمَغَازِي، فَقَالَ: مَا فَعَلَ الْفَارِسِيُّ الْمُكَاتَبُ؟

---

(١) البخاري - كتاب المناقب، حديث رقم ٣٦٥٢.

قَالَ: فَدُعِيتُ لَهُ.

فَقَالَ: خُذْ هَذِهِ، فَأَدِّ بِهَا مَا عَلَيْكَ يَا سَلْمَانُ.

فَقُلْتُ: وَأَيْنَ تَقَعُ هَذِهِ - يَا رَسُولَ اللَّهِ - مِمَّا عَلَيَّ؟!

فَقَالَ: خُذْهَا، فَإِنَّ اللَّهَ عز وجل سَيُؤَدِّي بِهَا عَنْكَ.

قَالَ: فَأَخَذْتُهَا، فَوَزَنْتُ لَهُمْ مِنْهَا. وَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ، أَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً! فَأَوْفَيْتُهُمْ حَقَّهُمْ، وَعُتِقْتُ، فَشَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الخَنْدَقَ، ثُمَّ لَمْ يَفُتْنِي مَعَهُ مَشْهَدٌ.

الله أكبر، الله أكبر.

أشْهَدُ أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً رسولُ الله.

جاء سَلْمَانُ الفارسي إلى المَدينَة بوصف الأسقف النصراني له، وَصْفه المَدينَة، وذكْره الرسول الذي يُهاجر إليها.

وكان من أمره وحديثه ما عَلِمَ الرسولُ ﷺ به، فأحبَّ أن يُذكَرَ حديثُه، وأنْ يسمعه أصحابُه.

وقد وَجَدَ سَلْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دار الهجرة كما وُصفَتْ له، وشهد دلائلَ النُّبُوَّة كما ذُكرت له.

ولا غرابة أنْ نسمع ما رواه أبو الأسود الدؤليُّ حين قال:

«كنا عند عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذاتَ يوم، فقالوا: يا أمير المؤمنين حدِّثنا عن سَلْمَان

قال: مَنْ لكم بمِثْل لقُمان الحكيم؟

ذلك امرؤ منَّا وإلينا أهْلَ البيت.. أدركَ العِلْمَ الأولَ والعِلْمَ الآخرَ، وقَرَأَ الكتابَ الأولَ والآخرَ. وبَحْرٌ لا يَنْزف»[1].

*****

(١) مجمع الزوائد ١٥٨/٩، حلية الأولياء ١٨٧/١، سير أعلام النبلاء ٣٨٨/٢.

لقد أَسْلَمَ سَلْمَانُ الفارسي فسمعنا من حديثه ما يَلْفِت الأنظارَ إلى حقائقَ يجب أن تُستحضَر - دائماً - ولا تَغيب:

مَن الذي هيّأ سَلْمَانَ الفارسيَّ لتَحَمُّل ما تحمّله للوصول إلى حيث يُهاجر الرسولُ ﷺ؟ وقد عرفنا مَن أخْبَرَه بذلك قبل أن يكون.

ومَن الذي هيّأ المَدينَةَ - يثربَ كما كانت تُسمّى من قبل - لتَكون قُبَّة الإسلام ودار الهجرة للرسول الكريم المبعوث رحمة للعالمين؟

وما يوم بُعاث[١] منها ببعيد..

عَنْ عَائِشَةَ - رَضِي اللَّه عَنْهَا - قَالَتْ: «كَانَ يَوْمُ بُعَاث يَوْمًا قَدَّمَهُ اللَّهُ عز وجل لِرَسُولِهِ ﷺ فَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ المَدينَة وَقَدِ افْتَرَقَ مَلَؤُهُمْ، وَقُتِلَتْ سَرَوَاتُهُمْ[٢] وَرَفَقُوا لِلَّهِ عز وجل وَلِرَسُولِهِ فِي دُخُولِهِمْ فِي الإسلام»[٣].

وفي هذا الحديث الصحيح ما يدلُّ على أنَّ الأحداث التي وقعَتْ كانت تهيئةً لمَقْدِم الرسول الذي ائتلفت به القلوبُ، وصَلُحَتْ النفوسُ، واجتمعت على كلمة سواء لنُصْرَة الله ورسوله.

بل كانت الأحداثُ في مَكَّة المُكَرَّمة - التي شَرُفَتْ بمولد الرسول ﷺ وبعثته - بوَتَقةً لإعداد نفوسٍ أُخرجَتْ بهم خيرُ أُمَّةٍ، وقامتْ بهم أزْكَى دولةٍ، وكان لهم قَدْرُهم وشأنهُم مع رسول الله ﷺ.

كانوا كما ذكر الله تعالى عن المهاجرين: ﴿**أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾[٤].

---

(١) يوم بُعاث: أهَمُّ وآخر الحروب التي دارت رحاها بين الأوس والخزرج، وكانت قبل الهجرة بخمس سنين.

(٢) سَرَوَاتُهُمْ: أي أشرافهم.

(٣) أحمد - باقي مسند الأنصار، حديث رقم ٢٣١٨٤.

(٤) الحشر: ٨.

وعن الأَنْصَار الذين أحبُّوهم وآثروهم على أنفسهم، وقد تبوّؤوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ من قبلهم، يقول الله: ﴿**فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾

وقد أصبح المهاجرون والأَنْصَار في آيات تُتلَى

﴿**أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾

﴿**فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾

ليعرف الناسُ دلائل الصِّدْق وسبيل الفلاح على مَرِّ الزمان وإلى أن يَرِثَ الله الأَرْضَ ومَنْ عليها.

وتلك دلائل الصِّدْق وسبيل الفلاح في آيتين من آيات الذِّكر الحكيم، تُرى فيهما صفاتُ الأَنْصَار والمهاجرين وهم يلتقون في دار الإيمان والأبرار

﴿**لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ۝٨ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[1].

وقد شاء الله تعالى لرسوله ﷺ أن يعود مع الأَنْصَار إلى سيِّدة البُلدان «طابة»[2] بعدما فَتَحَ الله له مكةَ أحبَّ بلاد الله إلى الله، وأحبَّ البلاد إليه ﷺ.

ولم تكن عودتُه ﷺ إلى المَدينَة مع الأَنْصَار - مع إيثاره للأنصار - إلا استجابةً لدواعي الحقِّ الذي بُعثَ به، وليستَ استرضاءً للأنصار الذين وجدوا في نفوسهم؛ لحرمانهم من العطايا التي أعطاها الرسول ﷺ للمؤلفة قلوبهم.

---

(١) الحشر: ٨، ٩ .

(٢) طابة: من الطيب، وهو اسم للمدينة.

وكان لابُدَّ من بيانٍ يَعْرفُ به الناسُ - على مَرِّ الزمان - قيَمَ الأشياء وفضائل الأعمال:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

«لَمَّا أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا أَعْطَى مِنْ تِلْكَ الْعَطَايَا فِي قُرَيْشٍ وَقَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ، وَجَدَ هَذَا الحَيُّ مِنَ الأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِهِمْ، حَتَّى كَثُرَتْ فِيهِمُ الْقَالَةُ، وقَالَ قَائِلُهُمْ: لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَوْمَهُ.

فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، فَقَالَ:

يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَذَا الحيَّ قَدْ وَجَدُوا عَلَيْكَ فِي أَنْفُسِهِمْ لِمَا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْفَيْءِ[1] الَّذِي أَصَبْتَ.

قَسَمْتَ فِي قَوْمِكَ..

وَأَعْطَيْتَ عَطَايَا عِظَامًا فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ

وَلَمْ يَكُنْ فِي هَذَا الحيِّ مِنَ الأَنْصَارِ منها شيء!

قَالَ: فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ؟

قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَنَا إِلاَّ امْرُؤٌ مِنْ قَوْمِي.

قَالَ: فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ فِي هَذِهِ الحَظِيرَةِ[2].

قَالَ: فَخَرَجَ سَعْدٌ، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي تِلْكَ الحَظِيرَةِ.

قَالَ: فَجَاءَ رِجَالٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، فَتَرَكَهُمْ فَدَخَلُوا، وَجَاءَ آخَرُونَ فَرَدَّهُمْ

فَلَمَّا اجْتَمَعُوا لَه، أَتَاهُ سَعْدٌ فَقَالَ: قَدِ اجْتَمَعَ لَكَ هَذَا الحيُّ مِنَ الأَنْصَارِ.

فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، ثُمَّ قَالَ:

---

(١) الْفَيْءُ: الخراج والغنيمة.

(٢) الحظيرة: أي المكان.

يَا مَعْشَرَ الأَنْصَار، مَا قَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ، وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ؟

أَلَمْ آتِكُمْ ضُلاَّلاً فَهَدَاكُمُ اللَّهُ، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ، وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟!

قَالُوا: بَلَى. اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ وَأَفْضَلُ.

قَالَ: ألا تُجِيبُونَنِي يَا مَعْشَرَ الأَنْصَار؟

قَالُوا: وَبِمَاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللَّه، وَلِلَّه وَلِرَسُولِه الْمَنُّ وَالْفَضْلُ؟

قَالَ: أَمَا وَاللَّه لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ: أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ، وَمَخْذُولاً فَنَصَرْنَاكَ، وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ، وَعَائلاً فَأَغْنَيْنَاكَ.

أَوَجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ - يَا مَعْشَرَ الأَنْصَار - فِي لُعَاعَةٍ[1] مِنَ الدُّنْيَا تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا، وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلاَمِكُمْ؟!

أَلا تَرْضَوْنَ - يَا مَعْشَرَ الأَنْصَار - أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ، وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّه ﷺ فِي رِحَالِكُمْ؟

فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْلاَ الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَار.

وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا[2] وَسَلَكَتِ الأَنْصَار شِعْبًا، لَسَلَكْتُ شِعْبَ الأَنْصَار

اللَّهُمَّ ارْحَمِ الأَنْصَار، وَأَبْنَاءَ الأَنْصَار، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الأَنْصَار.

قَالَ: فَبَكَى الْقَوْمُ حتَّى أَخْضَلوا[3] لحَاهُمْ وَقَالُوا: رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّه قِسْمًا وَحَظًّا. ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَفَرَّقُوا»[4].

*****

(١) اللُعاعة: البقية اليسيرة.

(٢) الشِّعْبُ: ما انْفَرَجَ بين جَبَلَيْنِ، والشِّعْب: مَسِيلُ الماءِ في بطنٍ من الأرض.

(٣) أخضلوا لحاهم: أي ابتلَّتْ.

(٤) أحمد - باقي مسند المكثرين، حديث رقم ١١٣٠٥، مجمع الزوائد ٢٩/١٠.

يَا له من شَرَفٍ سَمَتْ به المَدينَة المُنَوَّرَة وعَزَّتْ مع شرفها وعِزِّها.

أن يذهب النَّاسُ بالشَّاة والبعير، وأن يرجع الأَنْصَار برسول الله ﷺ في رحالهم، لتكون المدينةُ مَثْوى رسول الله، يعيشُ بها عَشْرَ سنواته الأخيرة، ويُدفَن بها.

لقد هاجر الرسول ﷺ إلى المَدينَة المُنَوَّرَة بإذن ربِّه؛ لتكون مَقَرَّاً لدعوته.

وقد أعدَّ الله لها - قبل الهجرة إليها - مَن يكونُ جديراً بنعمة الإيمان وشرَف الجهاد في سبيل الله..

لقد هاجر إليها كِرَامُ النَّاس من الذين استجابوا لله وللرسول.

وهم - وإن كانوا قلَّةً في عددهم - لكنهم كانوا كَثْرةً في فضائلهم ونَصْر الله لهم، ويكفي أن يُذكَر الواحد منهم، فيُذكَر الله بذكرهم.

فمَنْ ذا الذي لا يرى ذلك في المهاجرين، كأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ - رضوان الله عليهم جميعاً؟

ومَنْ ذا الذي لا يَذْكُرُ مُصْعَب بن عُمَيْر، المقرئ الذي سَطَعَ نُورُ القرآن بقراءته في المَدينَة قبل أن يصل إليها رَكْبُ الرسول الكريم ﷺ؟

ومَنْ تدبَّر الوقائع ببعثة الرسول ﷺ وهجرته، عرف مَدَى الارتباط بين الحرمين الشريفين في مَكَّة المُكَرَّمة، والمَدينَة المُنَوَّرَة، وأيْقَنَ أن الهجرة كانت - في حقيقتها - هجرة أرْوَاح تعارفت فَأتَلَفَتْ، واعتصمت بحبل الله فتوحدت.

أرْوَاحٌ أيْقَنَتْ بربِّها، وآمنَتْ به، فعرفت حِكْمَةَ خَلْقِهَا وغايةَ وُجُودها.

فالتَقَتْ على صِدْق الغاية وشَرف اليقين.

واستحضرتْ ما يُوحي به القرآنُ وما يدعو إليه.

ورأَتْ القرآنَ في رسول الله ﷺ وهو يدعوهم إلى مكارم الأخلاق.

رأَتْهُ عمَلاً وخُلُقاً.. وقد «كان خُلُقُه القرآن ﷺ»[1].

(١) مسند أحمد - باقي مسند الأنصار، حديث رقم ٢٣٤٦٠، ٢٤١٣٩.